أ. الشيخ محمد علي التسخيري
الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

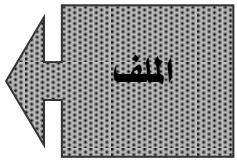

الخطوات المطلوبة لتحقيق الامن الاجتماعي على صعيد العالم الاسلامي

مقدمة

من الواضح لدى كل دارس للاسلام، أنه حدد الهدف من خلقة كل المخلوقات، وهو كمالها؛ اي تحول طاقاتها الذاتية الكامنة بالقوة الى ظواهر فعلية، بل ان هذا هو ما يدركه الوجدان الفطري حينما يلاحظ التخطيط الإلهي لهذا الكون والتنسيق والهدفية في الخلق.

وبالنسبة للإنسان يحدد القرآن هدف خلقته بوضوح اكبر حين يعلن (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)[١]، مما يوضح ان تكامل الانسان يتم كلما تأصلت صفة العبودية لله تعالى فيه كفرد، وأوج كمال الفرد يتمثل في النبي(ص)، وأرقى صفة تمنح للنبي انه (نعم العبد).

يقول تعالى: (ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد انه اواب).[٢]

وحين يشهد المؤمن لرسول الله سيد البشرية بالرسالة يقدم العبودية اولاً فيقول: (اشهد ان محمداً عبده ورسوله) وينعكس هذا على الانسان كمجتمع حيث يعمل عباد الله الصالحون وطليعتهم هم الانبياء على اقامة المجتمع العابد.

(ولقد بعثنا في كل امة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)[٣]. هكذا اذن تكون

المسيرة الصحيحة المتوازنة المتكاملة للبشرية ضمن خطين. خط العبادة وخط اجتناب الطاغوت، وهما الناتجان الأساسيان من حالة العبودية المطلقة لله تعالى.

فنحن هنا نواجه تفصيلاً وتوضيحاً اكبر للعبودية يتمثل في (العبادة) و(رفض الطاغوت).

العبادة والطاغوت

إن العبادة في مفهومنا الاسلامي باختصار تعني تعبيد الحياة لله (تعالى) وتنفيذ اوامره ونواهيه.

(يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم)[٤]

وهذا المعنى يشمل العبادة بالمعنى الأخص كالصلاة والصيام، ولا يلخص الحياة فيها بل تتحول الحياة كلها الى مسجد وصلاة وهو المعنى الاعم للعبادة.

أما الطاغوت: فهو باختصار المتجاوز للحد الوسط في تصور الاسلام، المتعدي عليه، والطغيان هو تجاوز الحد كما يقول الراغب[٥] ولذا قال تعالى: (انا لما طغى الماء حملناكم في الجارية).[٦]

والوسطية الاسلامية تعني: العدل، والتوازن، والحكمة ووضع الشيء في موضعه بما يحقق الهدف منه، وليس المقياس الكمي، وإذا كانت الأمة الاسلامية هي الأمة الوسط (وكذلك جعلناكم امة وسطاً)[٧]، فإنما لأنها الأمة القدوة والأسوة الحضارية للأمم بعد أن تقتدي بالرسول الأسوة.

وإذا راجعنا كل المفاهيم التي ينفر منها الاسلام وجدناها تخرج عن الحد الوسط بهذا المعنى: فمفاهيم: الالحاد والشرك والفاحشة والتهور والتشدد والاستبداد والعنف والطغيان والتبذير والتطفيف وبخس الآخرين والاسراف وأمثالها، بل حتى المفاهيم السلبية كالرهبنة والبخل والجبن واللامسؤولية، والتحلل هي نوع من أنواع عدم الالتزام بالحد الشرعي افراطاً او تفريطاً.

فالمعيار هو الحد الإنساني الذي ارتضاه الله تعالى، وربما ادركناه بوجداننا لوضوحه كالطيبات والخبائث، ولكن المنظار الإلهي يعطينا صورة كاملة عن الحد الوسط او فلنعبر بالحد الطبيعي الذي يعني الخروج عنه خروجاً عن الذات ونسيانها، وهنا يأتي هذا التعبير الإلهي الجميل (نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون)[٨]، تماماً كما تفسق النواة حين تخرج عن موقعها الطبيعي فتسميها العرب نواة فاسقة.

والامن البشري على مدى التاريخ مهدد من قبل الطغاة والفاسقين. ذلك اننا لو نظرنا من الأعلى الى كل انهار الدماء والدموع والاعتداء على النسل والحرث والعقل والانسانية فإننا بكل سهولة نستطيع ان نرجعها الى مظهرين من مظاهر الطغيان هما:

كما يعبر الشهيد محمد باقر الصدر:

مشكلة الضياع واللاانتماء، ومشكلة الغلو في الانتماء بتحويل الحقائق النسبية الى مطلقات، والتعبير الإسلامي عنهما هو (الالحاد) و(الشرك)، وهما يلتقيان في نقطة واحدة اساسية هي (إعاقة حركة الانسان في تطوره عن الاستمرار المبدع الصالح)[٩] اما العلاج فهو الايمان بالله الواحد والمسؤولية تجاهه.

ان اللاإيمان او الايمان بالوثنية هما حالتا طغيان، او فلنعبر هما سببان عظيمان للطغيان؛ فإما أن تنتفي المسؤولية في حالة اللاإنتماء أو تتضخم الصورة الوثنية للذات او للحجر او للحاكم او للاسطورة او للمنصب او للمال او للقوة او للشهوة ـ وكلها امور نسبية يحولها الجهل الى امور مطلقة ـ وحينئذ يكون الدمار، ويكون التهديد العظيم للامن الانساني بشتى انواعه.

اننا نستطيع ان نتصور انماطاً شتى من الأمن للانسان فهناك (الامن الفكري والاجتماعي، والاخلاقي الانساني والعائلي والصحي والبيئي والسياسي والاقتصادي وغير ذلك).

والطغيان وتجاوز الحد والافراط والتطرف يهدد هذه الانواع جميعاً.

ونحن نعلم ان فرعون يمثل نموذج الطغيان في النصوص القرآنية (اذهبا الى فرعون

انه طغى)[١٠]، (وان فرعون لعال في الارض وانه لمن المسرفين)[١١]، فحتى الايمان يحتاج الى إذن منه (قال فرعون آمنتم له قبل ان آذن لكم)[١٢]، وكان فرعون رمز التهديد للوجود الشعبي والنسل والخلق، يقول تعالى: (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم انه كان من المفسدين).[١٣]

وكان رمز الاستخفاف بالامة (فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوماً فاسقين).[١٤]

وربما كان من نافلة القول بعد هذا ان نتحدث عن دور الاسلام في تحقيق الامن للانسان بشتى انواعه بعد أن عرفنا رفضه لكل الاساليب الطاغوتية الفرعونية جملة وتفصيلاً.

فهو يعمل على توفير الأمن الأخلاقي من خلال نظامه الأخلاقي والتربوي (هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم)[١٥] فهو يعين هنا مرجعية النظام التربوي وبدونها يفقد صبغته وهو ينفي كل ما يلوث الجو الانساني الخلقي عبر تحريمه المفاسد الخلقية التي تميت انسانية الانسان.

كما يعمل على توفير الأمن الاجتماعي من خلال اقامة البناء العائلي، ونفي كل ما يوجه الغرائز نحو التحلل او الاشباع الخاطئ، ومن خلال تقديمه نظاماً للعلاقات الاجتماعية المتعالية، ونفيه كل ما يمزق الأمة من مقاييس مادية، كاللون واللغة والعنصر والقبلية والجغرافيا وغيرها، وكذلك من خلال ضمانة لكل حقوق الانسان في الوجود والكرامة والحرية والضمان الاجتماعي والاقتصادي، ورفضه كل عوامل التهديم كالبخل والغصب واكل المال بالباطل وتمركز الثروة والاسراف والتبذير والحرابة والبغي والقتل وغيرها، وكلها تتعاون لتحقيق الهدف، كما يعمل على ضمان المشاركة الشعبية السياسية من خلال مبدأ الشورى ومبدأ الولاية المتبادلة وتعميم المسؤولية ولا نريد ان نستمر في هذا العرض وهو واضح صريح.

إن الاسلام يعمل على المستوى الحضاري لتحقيق الامن والسلام العادل للبشرية منطلقاً من مبادئه الانسانية، وحتى لو اضطر للحرب فإنه يشنها حرباً نظيفة لا رد فيها إلا على المعتدي، أما الابرياء فلا ينالهم شيء بل وحتى الطبيعة تبقى آمنة سليمة.

يوصي الرسول عليه الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه، اصحابه فيقول (سيروا باسم الله وبالله وفي سبيل الله، وعلى ملة رسول الله، لا تغلو ولا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا شيخاً فانياً، ولا صبياً ولا امرأة، ولا تقطعوا شجراً الا أن تضطروا اليها ...).[١٦]

ان الأمن البيئي والطبيعي والحيواني مضمون اسلامياً وان قاعدة (لا ضرر ولا ضرار في الاسلام) قاعدة عامة تمنع الاضرار بالبيئة بلا ريب، لانه اضرار بكل البشرية، خصوصاً اذا فسرنا الضرر بمعناه الواسع مما يشمل المنع من كل اضرار بالفرد او المجتمع مباشرة او بشكل غير مباشر. وكل خرق للامن يعد اضراراً وان الاسلام يجعل الطبيعة مسخرة للانسان نفسه فعليه ان يشكر نعمتها ولا يكفر بها، (وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار).[١٧]

وحتى علاقات الحب والعواطف قد تقوم بين المسلم والطبيعة، فيمر الرسول الكريم(ص) على جبل أحد، فيقول: (هذا جبل احد يحبنا ونحبه).[١٨]

ويبقى الوعد الإلهي قائماً في خلد المسلم هدفاً يسعى اليه حثيثاً، إذ يقول تعالى: (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدّلنهم من بعد خوفهم امناً يعبدونني لا يشركون بي شيئاً ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون).[١٩]

انه المجتمع الخليفة الآمن العابد، الآمن من العدو الخارجي والداخلي، وانه هدف الأنبياء وقد تحقق: عبادةً وأمناً من الطاغوت. (ولقد بعثنا في كل امة رسولاً ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت).[٢٠]

والحقيقة اننا إذا فسرنا الارهاب بالمنطق الانساني العام بأنه (كل عمل لا ينسجم مع الوجدان الانساني من حيث الوسيلة او الهدف ويهدد الأمن بشتى انواعه) فسنجد

ان الاسلام يقف بقوة ضده بل ويعمل على اجتثاث جذوره من الاساس.

عوامل الارهاب

ومن الطبيعي ان نقول هنا اننا لا نستطيع ان نقضي على المعلول مع الابقاء على العلل.

إن معظم ما نشاهده من مظاهر الارهاب يعود الى عوامل كثيرة منها:

أ ـ انتشار الجهل وروح التعصب الأعمى والنظرة الظلامية للعالم.

ب ـ انتشار الفقر والجوع والحرمان، وكاد الفقر ان يكون كفراً.

ج ـ انتشار الظلم والاستبداد والقهر والعنف وسلب حقوق الانسان ومصادرة حرياته المشروعة.

د ـ فقدان الوازع المعنوي وتدني المستويات القيمية وانتشار الروح الحيوانية الجشعة العمياء.

فما لم توضع الخطط العالمية المخلصة للقضاء على هذه العلل او التخفيف من وطأتها فإنها سوف تظل تزرع الارهاب.

والأنكى من كل ذلك ان نجد الدول العظمى التي ارتبط تاريخها بالحروب والدمار والارهاب على رأس قائمة محاربته، وهي حتى في حربها المفروضة ضد الارهاب ترتكب ابشع انواع الارهاب وتدعم نظماً ارهابية فاشية مثل النظام الصهيوني الارهابي بكل ما في هذه الكلمة من معنى.

فهي تعاقب من تشاء، وتدعم من تشاء، وتدعي على من تشاء، وتدخل من تشاء في خانة الشر او الخير، فهي النائب العام عن البشرية وهي القاضي الدولي، وهي المنفذ تحت اسماء عديدة.

الحل على مستوى الأمة الاسلامية

إن الحل على مستوى الامة يجب ان يتركز على مايلي:

أوّلاً: رفع مستوى الوعي لدى جماهير امتنا في مختلف المجالات عبر فهم الإسلام وقراءة الحياة باسم الله، ثم فهم الواقع القائم، و الموقف العالمي والتحديات الدولية من امثال العولمة والعلمنة والهجوم الثقافي.

ثانياً: العمل على تعميم تطبيق الشريعة الإسلامية في كل الشؤون الحياتية فما لم نعد الى الاسلام فان المشاكل سوف تظل تحاصرنا. وإن من أهم الامور ضمان نظافة الجو العام للمجتمع مما يهيئ مجالا مناسباً للتنمية المعنوية.

ثالثاً: تطبيق عملية تربية شاملة لمختلف قطاعات الأمة وفق تعاليم الإسلام.

رابعاً: العمل بكل ما من شأنه التقريب في الفكر، لأن الافكار لايمكن توحيدها، وتوحيد موقف الأمة عملياً. ولا نريد لهذا التوحيد ان يكون خيالياً، كما لا نريده ان يكون استسلامياً ، بل يجب أن يتبع المنهج الوسطي الواقعي على ضوء الأهداف المرسومة. واشاعة العقلانية الاسلامية، ولغة الحوار المنطقي السلمي، وتحمل التعددية والرأي المخالف، وحرية الاجتهاد بضوابطه، والابتعاد عن لغة التكفير والتفسيق والتبديع وامثال ذلك.

خامساً: العمل على تقوية المؤسسات الشمولية الدولية الإسلامية وايجاد مايلزم ايجاده، ومنحها حرية أكبر في التحرك عبر آليات جديدة وفاعلة وواعدة.

واعتماد خطة أمنية اجتماعية شاملة – تبتني – من جملة ما تبتني عليه – على ما يلي: –

١– وحدة قضايا الامن في كل ارجاء العالم الاسلامي.

٢– الالتزام باللائحة الاسلامية لحقوق الانسان.

٣– ضرورة تقوية الاسس العقائدية لتقوم بصياغة العواطف الواعية لتترك أثرها على السلوك الفردي والاجتماعي.

٤– اعتماد مبدأ الحرية العقلانية المسؤولة، واقتلاع جذور الجريمة، ودوافع الاخلال بالامن، ثم العمل على الردع الانساني بدلاً من كبت الحريات وخنق المطالبات بحجة

الحفاظ على الامن.

٥- اعتماد مبدأ تعاون الشعوب والحكومات للحفاظ على الامن الاجتماعي.

سادساً: وضع خطة شاملة للاستفادة الأفضل من الامكانات السياسية والاقتصادية والاعلامية والجغرافية والمادية والطاقات الجماهيرية والعلمية والثقافية وتعبئتها في عملية المواجهة. والتأكيد على ايجاد مرجعية ثقافية عامة تحدد المعايير وتضبط المسيرة.

سابعاً: العمل على حل، او تغافل او تأجيل بعض النزاعات الجانبية او الثانوية، الفكرية والمذهبية والمصلحية والجغرافية والتاريخية وغيرها خدمة للهدف الأهم واستجابة لقضية التزاحم في الأولويات، وتقديم الاهم على المهم.

ثامناً: الشد من ازر الأقليات المسلمة – وتبلغ حوالي ثلث مجموع المسلمين في العالم – بالتأكيد على وجودها أولاً ووحدتها ثانياً وهويتها ثالثاً، وتقوية مجالات التلاحم بينها وبين الأمة الأم فهي تستفيد من دعم الامة، والأمة تستفيد من خبراتها، وقدراتها الاعلامية والعلمية وغيرها.

تاسعاً: التركيز على دعم مؤسساتنا الخيرية ومؤسسات الاغاثة والدعوة، وعدم تركها في مهب الريح وعدم انزلاقها في مداخل الخلافات الجانبية والمذهبية والسياسية وحمايتها من الاتهامات المعادية بدعم الارهاب وامثاله مما يؤدي الى اغلاقها.

عاشراً: الاحتفاظ بأصالة التعليم واستقلالية المؤسسات التعليمية وعدم الخضوع للضغوط الخارجية لتؤدي دورها المطلوب على وجه أتم؛ ويتم ذلك عبر استمداد اصولنا التعليمية من الكتاب والسنة مع مراعاة مكتشفات العصر وتعقيدات الواقع.

حادي عشر: الاستفادة الأفضل من المؤسسات والمنظمات الدولية الأخرى غير الحكومية لصالح قضايانا العادلة كما حدث في (دوربان) بأفريقيا الجنوبية.

ثاني عشر: الوقوف بحزم وتخطيط في قضايانا المصيرية واهمها قضية فلسطين. وفي هذا المجال نقترح:

١. تظافر كل الجهود الإسلامية لافشال خطط اسرائيل لتركيع الشعب الفلسطيني

وانهاء الانتفاضة الباسلة بدعم صموده وانتفاضته الباسلة ومقاومته الشجاعة.

٢. القيام بحملة لدعم المنكوبين وترميم الخراب وتكليف كل دولة غنية بسد جانب منه.

٣. ضرورة التأكيد على كون القضية الفلسطينية إسلامية وتعبئة كل الطاقات الإسلامية لذلك.

٤. ضرورة اتخاذ كل الخطوات والاستفادة من كل الامكانات القانونية والمحافل الدولية لفضح جرائم الصهيونية.

٥. عدم السماح لأمريكا للاستفراد بالقضية وأمثالها، وعدم الاعتماد على الحلول الأميركية.

٦. لزوم التفكير الجدي للعودة لنظام المقاطعة الشاملة للكيان الصهيوني الغاصب ومن يدعمه بل وتنفيذ المقاطعة الشعبية فوراً.

٧. لزوم تفعيل الدور السياسي لمنظمة المؤتمر الإسلامي في هذا المجال خصوصاً في مجال المطالبة بتنفيذ القرارات الدولية ودفعها لتحقيق الاهداف السامية التي انشئت لأجلها.

٨. لزوم العمل دولياً على وضع تعريف شامل للارهاب والتفريق بينه وبين المقاومة المشروعة. لئلا تتهم حركات المقاومة بتهمة الارهاب.

٩. ضرورة اعطاء الغطاء الشرعي للمقاومة الفلسطينية. بل والعمل على رفع روح المقاومة لدى جماهير الامة بهدف ايجاد الاستعداد اللازم لمواجهة التحديات الخارجية وصنع المستقبل الامثل.

١٠. السعي لتحقيق كل ما من شأنه اجتثاث الارهاب من جذوره، فان الارهاب معلول له علل، وليس من الحكمة محاربة المعاليل وابقاء العلل على حالها.

الهوامش:

١- الذاريات :٥٦.

٢- ص: ٣٠.

٣- النحل: ٣٦.

٤- الأنفال: ٢٤.

٥- مفردات الراغب، ص٣٠٥.

٦- الحاقة: ١١.

٧- البقرة: ١٤٣.

٨- الحشر: ١٩.

٩- الفتاوى الواضحة، ص٥٩٥.

١٠- طه : ٤٣.

١١- يونس: ٨٣.

١٢- الاعراف: ١٢٣.

١٣- القصص: ٤.

١٤- الزخرف: ٥٤.

١٥- الجمعة: ٢.

١٦- كنز العمال، ج٤، ص٢٢٣، والكافي، ج٥ ص ٢٧، وغيرها.

١٧- ابراهيم: ٣٤.

١٨- روته الصحاح.

١٩- النور: ٥٥.

٢٠- النحل: ٣٦.